

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ [طه: 67 - 68]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

الانتقال من
ظاهر التَّخِيلِ
إلى باطن الخيفة

بعد أن ذكر في الآية السابقة ما رآه موسى ﷺ من أن حبال
السَّحَرَةِ وَعَصِيَّهِمْ تبدو كأنَّها تسعى، ذكر هنا ما دار في نفسه من
الخوف، وشدة الموقف عليه، فجاءه الوحي من السماء؛ أَلَّا تَخَفَ إِنَّكَ
أَنْتَ الْأَعْلَى، فهو انتقالٌ من بيان ما حدث لموسى ﷺ في الظاهر إلى
بيان ما حدث له في الباطن.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فَأَوْجَسَ﴾: (وجس) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْسَاسِ شَيْءٍ وَتَسْمَعُ
لَهُ، وَالْوَجَسُ: فَزَعَةُ الْقَلْبِ، يُقَالُ: أَوْجَسَ الْقَلْبُ فَزَعًا، وَتَوَجَّسَتْ
الْأَذُنُ: سَمِعَتْ فَزَعًا⁽¹⁾، وَالْوَجَسُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ، وَالتَّوَجَّسُ:
التَّسْمَعُ، وَالْإِيْجَاسُ: وَجُودُ ذَلِكَ فِي النَّفْسِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْجَسَ
مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الذَّارِيَاتِ: 28]، فَالْوَجَسُ: حَالَةٌ تَحْصُلُ مِنَ النَّفْسِ بَعْدَ
الْهَاجِسِ؛ لِأَنَّ الْهَاجِسَ مُبْتَدَأُ التَّفَكِيرِ، ثُمَّ يَكُونُ الْوَاجِسُ الْخَاطِرَ⁽²⁾،
فَقَوْلُهُ: ﴿فَأَوْجَسَ﴾؛ أَي: أَخْفَى فِي نَفْسِهِ الْخَوْفَ مِنْهُمْ.

(2) ﴿خِيفَةً﴾: (خوف) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الدُّعْرِ، وَالْخَوْفُ: تَوَقُّعُ
مَكْرُوهٍ عَنْ أَمَارَةٍ مَظْنُونَةٍ أَوْ مَعْلُومَةٍ، وَالتَّخَوُّفُ: التَّنْقِصُ، وَخَاوَفْتِي
فُلَانٌ فَخَفَّتُهُ: صَرْتُ أَشَدَّ خَوْفًا مِنْهُ، وَالْخِيفَةُ: الْحَالَةُ الَّتِي عَلَيْهَا
الْإِنْسَانُ مِنَ الْخَوْفِ⁽³⁾، وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ: تِلْكَ الْحَالَةُ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا
مُوسَى مِنَ الْخَوْفِ مِنْ جِدْقِ السَّحَرَةِ.

(1) الخليل، العين: (وجس).

(2) الأصفهاني، المفردات: (وجس).

(3) ابن فارس، مجمل اللغة، والأصفهاني، المفردات: (خوف).

(3) ﴿الْأَعْلَى﴾: (علو) أَصْلٌ، وَالْعُلُوُّ: ضِدُّ السُّفْلِ، وَقَدْ عَلَا يَعْلُو عُلُوًّا وَهُوَ عَلٍ، فَ(عَلَا) بِالْفَتْحِ فِي الْأَمَكَةِ وَالْأَجْسَامِ أَكْثَرُ، وَيُقَالُ: عَلِيَ فِي الْمَكَارِمِ يَعْلَى عِلَاءً، وَعَلَا فِي الْمَكَانِ يَعْلُو عُلُوًّا⁽¹⁾، وَ(أَعْلَى) صِيغَةُ مَبَالِغَةٍ، وَمَقْصُودُهَا فِي الْآيَةِ: الْغَالِبُ وَالظَّافِرُ.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

تُبَيِّنُ الْآيَةُ مَا حَصَلَ لِمُوسَى ﷺ مِنْ صَنِيعِ السَّحَرَةِ، وَأَنَّهُ قَدْ أَثَّرَ فِيهِ، وَالْإِيجَاسُ: الْإِخْفَاءُ وَالْإِضْمَارُ، وَالْخِيفَةُ: الْخَوْفُ؛ أَيِ فَأَخْفَى مُوسَى ﷺ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْخَوْفِ، حِينَ رَأَى حِبَالَ السَّحَرَةِ وَعَصِيَّتَهُمْ تَتَحَرَّكُ وَتَهْتَزُّ وَتَسْعَى، وَخَوْفُهُ هَذَا حَدَثَ لَهُ بِمَقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ عِنْدَمَا رَأَى هَذَا الْأَمْرَ الْهَائِلَ مِنَ السَّحَرِ، الَّذِي سَيُرْهِبُ النَّاسَ وَيُؤْثِّرُ فِي نَفُوسِهِمْ، فَيَصْرِفُهُمْ عَنْ دَعْوَتِهِ، فَلَمَّا جَاءَهُ الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَأْيِيدًا لَهُ وَتَشْيِيتًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾؛ أَيِ: قُلْنَا لَهُ عِنْدَمَا أَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مِنْ فِعْلِ السَّحَرَةِ: لَا تَخَفْ يَا مُوسَى مِمَّا فَعَلُوهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى عَلَيْهِم بِالْحَقِّ الَّذِي مَعَكَ وَهُمْ جَاؤُوا بِالْبَاطِلِ⁽²⁾.

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ:

نوعُ الفاء ودلالاتها:

أَفَادَتِ الْفَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾ الدَّلَالَةَ عَلَى سُرْعَةِ مَا أَصَابَ مُوسَى مِنَ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ مِمَّا رَأَى، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ السَّحَرِ الَّذِي أَلْقَاهُ السَّحَرَةُ مِنَ الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ الَّتِي خِيلَ إِلَيْهِ أَنَّهَا تَسْعَى؛ فَأَوْجَسَ مِنْهَا خِيفَةً، وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ دَلَالَتُهَا كَذَلِكَ عَلَى السَّبَبِيَّةِ؛ إِذْ أَوْجَسَ خِيفَةً بِسَبَبِ مَا خِيلَ إِلَيْهِ،

تثبيت المؤمنين
إنما يكون بعون
رب العالمين

سحر عظيم
يعقب خيفة
مستكنة

(1) ابن فارس، مجمل اللغة: (علو)، والأصفهاني، للفردات: (علا).

(2) طنطاوي، الوسيط: 9 / 124.

من حركات ما أُلقي من الحبال والعصي، وما حدث من خوارق العادات وحركة الجمادات.

سر استعمال صيغة الفعل الماضي ﴿فَأَوْجَسَ﴾:

المقارنة بين
إيجاس الخيفة
وإظهار الخوف

عندما رأى موسى الحبال والعصي الملقاة كأنها تسعى؛ أوجس خيفة في نفسه، فجاء الفعل ﴿فَأَوْجَسَ﴾ بصيغة الماضي للدلالة على استقرار الخيفة في نفسه ﷺ، ولإشارة إلى ما أصابه قبلها عندما ألقى عصاه فرآها تهتز كأنها جانّ قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [النمل: 10]، كأنه قال: أوجس الخيفة هنا، ولم يولّ مدبرًا بسبب خوفه كما كان في أول مرّة.

نكتة استعمال لفظ ﴿فَأَوْجَسَ﴾:

الخوف طبيعة
بشرية قد
يعتري الأنبياء
مظهر من
مظاهره

آثر النظم استعمال مفردة الإيجاس في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾، وهو عبارة عما يعتري نفس الإنسان إذا وقع ظنه في أمر على شيء يَسُوؤُهُ، فهو فعل نفسي، وقرينة ذلك قوله: ﴿فِي نَفْسِهِ﴾⁽¹⁾، وإيجاس الخوف: إضمار شيء منه، وكان ذلك لطبع الجيلة البشرية، وأنه لا يكاد يمكن الخلو من مثله، فخاف موسى أن يخالج الناس شكّ فلا يتبعوه⁽²⁾، وانتصاب ﴿خِيفَةً﴾ على المفعولية؛ أي وجد في نفسه⁽³⁾، وقد اقتضى ما حدث في نفس موسى من الخوف من هول ما رأى؛ حتى أتاه الوحي؛ تنبيهًا له بعدم الخوف، وأمرًا له بإلقاء العصا.

فائدة استعمال حرف الظرفية:

أفاد حرف الظرفية في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾

خيفة موسى ﷺ
بقيت مستكنة في
نفسه

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 4 / 51.

(2) الزمخشري، الكشاف: 3 / 75.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 4 / 52.

مُوسَى؛ أَنْ مَا كَانَ مِنْ خِيفَةٍ عِنْدَ مُوسَى عليه السلام هِيَ فِي وَعَاءٍ نَفْسِهِ لَمْ تَظْهَرْ لِلنَّاسِ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ، وَأَنَّهَا بَقِيَتْ فِي نَفْسِهِ لَمْ يَعْلَمْ بِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَفَائِدَةٌ ذَلِكَ أَنَّ خَوْفَهُ اقْتَصَرَ عَلَى خَشْيَةِ أَنْ يَنْصَرَفَ النَّاسُ مَبْهُوتِينَ بِمَا رَأَوْا مِنْ سِحْرِ السَّحَرَةِ، دُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا.

نَكْتَةُ ذِكْرِ النَّفْسِ لَا الْقَلْبِ:

جاء ذكر النفس لا القلب في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾، والْوَجَسُ: الفزع يقع في القلب⁽¹⁾، وقد قُيِّدَ هُنَا بِالنَّفْسِ لَا فِي الْقَلْبِ، فَهُوَ وَجَسٌ مَحْدُودٌ لَا يَمْنَعُهُ مِنْ إِنْجَازِ مَهْمَتِهِ الَّتِي أَرْسَلَ مِنْ أَجْلِهَا، فَالْخَوْفُ الَّذِي وَقَعَ فِي نَفْسِ الرَّسُولِ لَمْ يَكُنْ مَهِيمًا عَلَى قَلْبِهِ، فَيَمْنَعُهُ مِنْ إِنْجَازِ أَهَمِّ مَا أَرْسَلَ مِنْ أَجْلِهِ، وَهُوَ دُخُولُهُ مِيدَانَ التَّحْدِي.

بِلَاغَةُ الْإِطْنَابِ بِذِكْرِ الْقِيُودِ:

ذَكَرَ قَيْدَ ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ إِطْنَابًا؛ وَلَوْ قِيلَ: (فَأَوْجَسَ خِيفَةَ مُوسَى) لَصَحَّ الْكَلَامُ، وَفَهْمُ الْمُرَادِ، فَإِنَّ الْخِيفَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي النَّفْسِ، وَفَائِدَةُ هَذَا الْإِطْنَابِ "الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهَا خِيفَةٌ تَفَكَّرَ لَمْ يَظْهَرِ أَثَرُهَا عَلَى مَلَامَحِهِ، أَوْ جَوَارِحِهِ، وَإِنَّمَا خَافَ مُوسَى مِنْ أَنْ يَظْهَرَ أَمْرُ السَّحَرَةِ فَيَسَاوِي مَا يَظْهَرُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ انْقِلَابِ عَصَاهُ ثَعْبَانًا؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ قَدْ سَاوَاهُمْ فِي عَمَلِهِمْ وَيَكُونُونَ قَدْ فَاقَوْهُ بِالكَثْرَةِ، أَوْ خَشِيَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَرَادَ اسْتِدْرَاجَ السَّحَرَةِ مَدَّةً، فَيُمْلِي لَهُمْ بظُهُورِ غَلْبِهِمْ عَلَيْهِ، وَمَدَّةً لِمَا تَكُونُ لَهُ الْعَاقِبَةُ فَخَشِيَ ذَلِكَ"⁽²⁾.

تَوْجِيهِ الْمُنْتَشَابَةِ اللَّفْظِيَّةِ فِي الذِّكْرِ وَالْحَذْفِ:

فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِعِلْمٍ عَلِيمٍ﴾ [الأنبياء: 28]، لَمْ يُذَكَّرْ قَيْدَ (فِي)

خوف موسى
عارض
نفسه لا ثبوت
قلبي

خيفة موسى
كانت على
الدعوة وتأثر
الناس بالباطل

علم الملائكة
مقترن بالظاهر
وعلم الله
مطلق يشمل
الظاهر والسرائر

(1) الخليل، العين: 6/ 161.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 259.

نفسه) وذلك أَنَّ الآية أفادت ظهور الخوف على إبراهيم عليه السلام؛ بدليل قول الملائكة له: ﴿لَا تَخَفْ﴾ [الذاريات: 28]، والملائكة لا يعلمون ما في نفس إبراهيم عليه السلام، ولكنهم رأوا ذلك قد بدا على جوارحه، بينما قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ ﴿٧٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى، فقد قال الله له: ﴿لَا تَخَفْ﴾، والله يعلم ما يجول في النفوس، وما يدور في الخواطر، وإن لم يظهر ذلك على جوارح موسى، فذكر مع موسى قيد: ﴿فِي نَفْسِهِ﴾، لأنَّ النفس كانت وعاءً لذلك الخوف، غير ظاهرة على جوارحه، ولم يُذكر هذا القيد في شأن إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّ الخوف بدا على جوارحه وهيئته، فعلمت الملائكة بذلك، وطمأننته بعدم الخوف ممَّا رأى.

غرض تقديم شبه الجملة على المفعول:

الخيفة منحصرة
في النفس
محفوظة من
اللبس

قدَّم الجار والمجرور ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ على المفعول به ﴿خِيفَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾؛ للاختصاص، فقد اختصَّت النفس بالخوف، فلم يظهر شيء من بوارده على القول أو الفعل؛ بل بقي الخوف في وعاء النفس غير ظاهر لأحد من القوم.

توجيه التشابه اللفظي في التقديم والتأخير:

أنفس الأنبياء
مُزَكَّاة من أصل
خَلَقَتِهَا

قدَّم قيد ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ في قصة موسى عليه السلام: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾؛ لأنَّ أمر الخوف كان منغلَقًا عليه في النفس؛ أمَّا تأخير قيد ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [يوسف: 77]، فلاَنَّ التَّغَاضِيَّ عن عداوة الآخرين وكرهيتهم، وعدم إظهار ردِّ الفعل على ذلك، وإسراَرُهُ في النفس، هو من أخلاق الأنبياء، فقدَّم ذِكْرَ يوسف لبيان أنَّها من أخلاق النبوة؛ فأنفس الأنبياء مُزَكَّاة من خَلَقَتِهَا، مُهَيَّاة للوحي، نشيطة في تلقِّي الرسالة.

دلالة لفظ ﴿خِيفَةً﴾:

لَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً﴾ لم يبطئ الوحي عن موسى في الأمر بإلقاء العصا؛ بل إِنَّ الخيفة اعْتَرَتْ نفسَ موسى لما رآه من المشهد غير المُعتاد عليه وعلى النَّاسِ، فخاف أن ينصرف النَّاسُ قبل أن يؤمر بإلقاء عصاه فيفتتوا، وجاء التَّعبير بـ ﴿خِيفَةً﴾ لبيان أنها أقل من الخوف الأوَّل الذي حصل له عند أمر الله تعالى بإلقاء عصاه في قوله تعالى: ﴿يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ١٠]، فلمَّا جاءه الأمر بإلقاء ما في يمينه تلاشى ما أوجس من الخوف، وعَلِمَ أَنَّهُ سَيَهْزِمُ تلكَ الجموعَ من الأفعال البشريَّة؛ لأنَّ الله تعالى هو الذي سينتصر بقدرته سبحانه، وأنَّ المعجزة التي جَرَتْ على يديه أوَّلَ مرَّةٍ ستُظْهِرُ اليومَ مرَّةً أخرى؛ كيف لا وهي الميدان والقضيَّة التي خلقت من أجلها.

نكتة صيغة ﴿خِيفَةً﴾:

قوله: ﴿خِيفَةً﴾ اسم هيئة من الخوف، أُريد به مُطْلَقُ المصدر، وأصله خَوْفَةٌ، فقلبت الواو ياءً لوقوعها بعد كسرة، وإنْ دَلَّتْ على شيءٍ فدلالتها على القلَّة والخوف اللَّحْظِيَّ أو الآني الذي سرعان ما يتبدَّد، ويستحيل قوَّةً وعزمًا، بعد أن أتاه الوحي من الله بالأمر بالإلقاء.

فائدة ذكر اسم ﴿مُوسَى﴾:

ابتدأت الآيات بنداء موسى ﷺ ﴿قَالُوا يَمُوسَى﴾ وانتهت بقوله: ﴿خِيفَةً مُوسَى﴾، وهو المقصود بالكلام، إذ الخيفة وقعت في نفسه لا في نفس غيره بدليل اللِّحاق ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾؛ إذ كان موسى في هذا الموقف مَحَطَّ أنظار النَّاسِ جميعًا، وليُعلم أنَّ موسى ﷺ سيكون هو الأعلى في هذا التَّحدِّي، وأنَّ المعجزة التي سيأتي بها ستكون مَحَطَّ أنظار النَّاسِ جميعًا وسببَ إيمان أكثرهم، ولدفع توهم أنَّه لم تقع

الخيفة خوفًا
طبيعيًّا يضبط
في النفوس
ويحبس في
الصدور

الخيفة خوفًا
لطيفًا مؤقَّت

دفع توهم أنَّه
لم تقع من
موسى
خيفة

في نفسه خيفةً، فكان تعيينه مُزيلاً لمثل هذا الوهم، ودفعاً لاحتمال مثل هذا الزعم، فموسى ﷺ هو محور القضية التي ستزيل عروش الفراعنة الطُغاة، التي بُنيت على إرهاب النَّاس واستعبادهم.

نكتة تأخير المسند إليه:

إحاطة موسى
بمجمع
الحدث

أُخِّرَ ذكر المسند إليه وهو الفاعل في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ فلم يقل: ﴿فَأَوْجَسَ مُوسَى خِيفَةً فِي نَفْسِهِ﴾؛ فتأخير ذكر الفاعل باعتبار أنه معلومٌ من السياق، وللإشارة إلى أن ذكره في هذا السياق إنما هو لدفع أوهام الأفهام أن يكون المقصود سواه، ولبيان أن الإيجاس كان في نفسه لم يخرج منها، وإكرامه في الذكر، إذ أحاط اسم موسى ﷺ بمجمع الحدث، وكان هو مَحَطُّ أنظار النَّاس أولاً وآخرًا.

علّة الفصل بين الجمل:

تأييد الله تعالى
حاضر في عظام
الأمر ودقائقها

بين قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾، والآية التي سبقتها، شبه كمال الاتصال؛ إذ إنَّ الجملتين خبريتان، فلمَّا قال في الجملة السابقة: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ قد يردُّ في ذهن المخاطب عمَّا كان بعد ذلك الإيجاس؟ فجاء قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ ليبيِّن تأييد الله تعالى لنبيه ﷺ.

نكتة ذكر فعل القول:

ذكر فعل القول ﴿قُلْنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ دون أن يُقال: (لا تخف) يحذف ﴿قُلْنَا﴾؛ لتقوية النهي: ﴿لَا تَخَفْ﴾ في أسمع المخاطبين، وأنَّ النهي إنما صدر عن الله تعالى بذاته العليّة.

تعليّل علو
موسى
برعايته من
الأعلى

نكتة التعريف بـ (ال) في قوله: ﴿الْأَعْلَى﴾:

ذكر النظم الكريم أن موسى ﷺ سيكون هو الأعلى، فقال: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، وهو المناسب للإخبار بأنَّه الأعلى، فقد اكتسب

علو المكانة يكون الذي يرعاه ويتعاهده هو الأعلى ﷺ، فموسى الأعلى بالنسبة للسحرة والمناوئين، فهو اعتبار نسبي مقيّد، وعلو الله تعالى مطلق.

بلادة الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

التفت النظم من الغيبة في قوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾ إلى الخطاب بقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾، وفائدة ذلك الخطاب استحضار الدعم النفسي والتأييد لموسى ﷺ بعد ما أوجس في نفسه من الخيفة، وعدم الإقبال على التحدّي، فجاء خطاب الوحي بقوله: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، وهو أفضل ما يمكن أن يتلقاه موسى في تلك اللحظات العصيبة والحرّة.

غرض إسناد الفعل إلى ضمير العظمة:

أسند فعل القول إلى ضمير العظمة في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾؛ لدلالته على قوة الجهة التي صدر عنها هذا القول، وناسب ذلك سياق الآية، وحدث الخيفة التي أوجسه موسى في نفسه مما رآه من أفعال السحرة، فجاءته قوة الخطاب بضمير العظمة تأمره بعدم الخوف، وتبشره بتحقيق علو على السحرة وأفعالهم.

غرض التّهي وبلاغته:

قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ جاء إلى موسى ﷺ نهياً عن الخوف، وتطميناً بالغلبة، وأمرًا بإلقاء ما في يمينه، وقد تكرر قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ﴾، كما في قوله تعالى: ﴿يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: 10]، وقوله تعالى: ﴿يَمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾ [القصص: 31]، وعندما أرسله إلى فرعون مع أخيه هارون؛ قال لهما: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: 46]، وذلك دليل على عظيم ما رأى من أفعال السحرة؛ لكثرتها، إذ لا يُتصوّر أنّ

الوحي تأييد
في المذلّهات
وتقوية في
الصعوبات

قوة الخطاب
هي إشارة لموسى
بالنصر
والعلو

الخوف مركوز في
الفطرة لا ينتزع
إلا بأمر ربّاني

عصاً واحدة سوف تكون كفيلاً بابتلاع العَصِيِّ والحبال، ثم إن في ذلك دلالة على أن الخوف مركز في جبلة الإنسان، ولو كان نبياً، حتى ينتزع منه انتزاعاً ربانياً.

بلاغة التوطئة بالنهي:

النهي توطئة
لأمر بإلقاء
الثعبان اللبين

لما خرج أسلوب النهي في قوله: ﴿لَا تَخَفْ﴾ إلى معنى التطمين والتأمين؛ لأن الخطاب من الله تعالى إلى رسوله في أعظم موقف شهده موسى ﷺ؛ فافتضى ذلك من موسى الإقبال والمبادرة، فهو توطئة للأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾، حيث كان الإلقاء لاثقاً بمقام النبوة الحاملة لأعظم دلالاتها، التي لا يعتريها خوف أو تردد.

فائدة تجرّد الخطاب من النداء:

النهي وحي
ضمني فناسب
حذف النداء

تجرّد قوله تعالى: ﴿فُلْنَا لَا تَخَفْ﴾ من النداء، بخلاف قوله تعالى: ﴿يَمُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ﴾ [القصص: 31]، وذلك لاختلاف السياقين، فالسياق هنا إخبار عن الوحي الإلهامي الذي أوقعه الله تعالى في نفس موسى ﷺ، وأمّا في السياق الوارد في سورة القصص فهو خطاب مباشر من الله تعالى، فناسب النداء.

غرض التوكيد:

البشارة
العاجلة لموسى
بالاستعلاء على
الخصوم

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ تعليل للأمر بترك الخوف؛ وقد ورد ذكر الخوف في خطاب موسى ﷺ، ونفيه عن المرسلين، وقد أكد هنا بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾؛ لأن الرسول لا يستحوذ على قلبه الخوف، فهو منصور بقوة الله تعالى، ومؤيد بالمعجزات التي هي أفعال الله لنصرة رسله، فتضمن تعليل ترك الخوف بشارة عاجلة لموسى بقوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، وذلك ردّاً على قول السحرة: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ [طه: 64].

بلاغة اجتماع التوكيدات:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ تقرير لغلبته وقهره، وتوكيد

بالاستئناف، وبكلمة التشديد، وبتكرير الضمير، وبلاد التعريف، ولفظ العلو، وهو الغلبة الظاهرة، وبالتفضيل⁽¹⁾، وهو دليل على أن ما خامره ﷺ من الخوف إنما هو خوف ظهور السحرة عند العامة ولو في وقت ما، وهو وإن كان موقناً بأن الله ينجز له ما أرسله لأجله، لكنه لا مانع من أن يستدرج الله الكفرة مدة قليلة لإظهار ثبات إيمان المؤمنين⁽²⁾.

حرص الداعي
على الناس علو
وارتقاء

دلالة اجتماع ضمير الوصل والفصل:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ تكرر الضمير للتوكيد، فبعد أن ذكر ﴿إِنَّكَ﴾ بضمير المخاطب المتصل، ذكر بعده الضمير المنفصل ﴿أَنْتَ﴾، فأكد تطمين المخاطب؛ وهو رسول الله موسى ﷺ؛ أنه سيكون في أعلى مكانة في ذلك الموقف، وأجل حالة من النصر والغلبة.

توريث
الطمأنينة معين
على السكينة

دلالة تعريف الخبر:

أفاد تعريف الخبر: ﴿الْأَعْلَى﴾ التعظيم، وفيه إيحاء إلى ما سيكون لموسى ﷺ بعد هذا الموقف من شأن عند بني إسرائيل، وأفاد التعريف بـ (أل) قَصَرَ ذلك العلو على موسى تجوّزاً بقصد المبالغة، وذلك دالٌّ على انهيار الخصم مع ما يملك من عظيم القوة وقدرة التحشيد لها.

الإيماء إلى
الشأن المستقبلي
لموسى ﷺ

بلادة الكناية عن الصفة:

قوله: ﴿أَنْتَ الْأَعْلَى﴾، أي: الغالب لمن ناوأك في هذا المقام⁽³⁾، فيكون العلو هنا كناية عن الغلبة، وقد ورد هذا اللفظ خاصة رداً على ما قاله السحرة لبعضهم، وهم يستثيرون قواهم وقدراتهم؛ إذ

العلو والتّمكين
دلالة النصر
والغلبة

(1) الرّمخسري، الكشاف: 75 / 3.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 260 / 16.

(3) ابن عطية، للحرر الوجيز: 52 / 4.

قالوا: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ۖ﴾ [طه: 64]؛ حتمًا فإن موسى قد سمع ما قالته السحرة، فجاءه النصر من الله والتطمين بأن العلوّية والفلاح ستكون له ولدعوته في هذا النزال والتحدّي.

فائدة استعمال صيغة التفضيل:

اسم التفضيل صيغة تشتق من الفعل للدلالة على اشتراك شيئين في صفة وزيادة أحدهما على الآخر فيها، وفائدة هذه الصيغة هنا؛ أن موسى ﷺ سمع من السحرة أنهم يريدون أن يكونوا الأعلى كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَىٰ ۖ﴾، فجاء اسم التفضيل ليُعْلِمَهُ وَيُطْمِئِنِّهِ: أنه سيكون الأعلى عليهم حال إلقائه ما في يمينه، لأنها المعجزة من عند الله وتصديق الله له بالرسالة، فكان طلبُ علو السحرة لأنفسهم ضرورةً لتحقيق علو موسى ﷺ أمام تلك الحشود البشرية، التي جُمعت في مهرجان كبير، فتَمَّ بمعجزة موسى إنهاء كل محاولات فرعون؛ من طلب الاستعلاء، وتأليه نفسه، فهي تَضَمَّنَت الرَّد عليهم، وإعطاء نتيجة الإلقاء قبل وقوعه.

❁ الفروق المُعْجَمِيَّة:

(أَعْلَى) و(فَوْق):

أَعْلَى الشَّيْءِ يَكُونُ مِنْهُ، يُقَالُ: هُوَ أَعْلَى النَّخْلَةِ، يُرَادُ أَنَّهُ فِي نِهَآيَةِ قَامَتِهَا، وَتَقُولُ: السَّمَاءُ فَوْقَ الْأَرْضِ، فَلَا يَقْتَضِي ذَلِكَ أَنَّ تَكُونُ السَّمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَعْلَى يَقْتَضِي أَسْفَلَ، وَفَوْقُ يَقْتَضِي تَحْتَ، وَأَسْفَلَ الشَّيْءِ مِنْهُ، وَتَحْتَهُ لَيْسَ مِنْهُ، فَيُقَالُ: وَضَعْتَهُ تَحْتَ الْكَوْزِ، وَلَا يُقَالُ: وَضَعْتَهُ أَسْفَلَ الْكَوْزِ، بِهَذَا الْمَعْنَى وَيُقَالُ: أَسْفَلَ الْبَيْرِ، وَلَا يُقَالُ: تَحْتَ الْبَيْرِ⁽¹⁾، فَلَمَّا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾؛ أي: الأعلى

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 184.

الـرَّدُّ على
السحرة والإخبار
بنتيجة الإلقاء
قبل وقوعه

تُستعمل أعلى
في المعنويات
أكثر من فوق

من بين المُتَحَدِّين، بمعنى التَّفَوُّق في الحِجَّة والبيَّنة، فهو أعلى على مَنْ هم مِنْ جنسه
مِنَ البشر المُتَحَدِّين، كما أَنَّ الأعلى تُستعمل في المعنويَّات أكثر من استعمال فوق، فحسُن
الإتيان بها هنا.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-74-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»